كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: ١٨١٧-٦٧٩٨ (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Part of the Muslims chronicler in writing the civil of Africa Ibn Batoota as a sample

Dr. Bashar Akram Jameel

A B S T R A C T

Muslims scientists interested in the history of the area which situated south the desert in their writings . And Ibn Batoota was one of those chronicler who made a well known travel (tuhfet Al – nthar fee Graab Al – Amsar wa Ajaab Al – Asfar) which wrote in it what he watched in the cities of this area , such as the justice and he described the region economically , socially and the management , and also he talked about how her people committed to Islam . the matter that investigation tends to deal with it pitcher in projection the Muslims scientist part and their chronicler representative by Ibn batoota in exhibit the big part of Muslims in development of civil of Africa and link it to the Islamic Arabic civil , and the method which follow in the investigation show the provision and analysis and compare it to the sayings of chronicler contemporary to Ibn batoota and reach one picture which express the place of Islam and its civil in the region

© ٢٠١٨ JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/١٠.٢٥١٣٠/jtuh.٢٥.٢٠١٨.٠٥

***Keywords*:**
Ibn Batoota
Muslims chronicler
Africa
Asfar

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received ١٠ jun. ٢٠١٥
Accepted ٢٢ jun ٢٠١٥
Available online ٠٥ xxx ٢٠١٥

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

دور البلدانيين المسلمين في تدوين حضارة أفريقيا

ابن بطوطة انموذجاً

الدكتور بشار اكرم جميل

الخلاصة

اهتم بعض الرحالة والمؤرخين المسلمين ولاسيما في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي بتاريخ المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى والممتدة من البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً ، وتحدها الصحراء الكبرى شمالاً والغابات الاستوائية المطيرة جنوباً ، أوضحت مؤلفاتهم انتشار الإسلام بين سكان المنطقة والدول الإسلامية القائمة هناك وعلاقتها بالدول الإسلامية في مصر والمغرب الإسلامي والتقدم الذي حصل في المنطقة بفضل الإسلام والذي أدى في النهاية إلى انضمامها إلى ركب الحضارة الإنسانية .

كما أوضح أولئك الرحالة المتغيرات التي طرأت على الدول القائمة في المنطقة في ظل الإسلام على كافة الأصعدة ، وكان من بين أولئك المؤرخين الرحالة أبن بطوطة الذي قام برحلة شملت شرق القارة الأفريقية وغربها سماها (تحفة النظار في

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والتي دون فيها رحلته انطلاقاً من مدينة سبته المغربية .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره : ولهذا الموضوع أهمية تكمن في التحول الذي حصل في المعلومات الواردة عن أفريقيا جنوب الصحراء ، فبعد أن اقتصرت معلومات المؤرخين والبلدانيين عن المنطقة بعدة أسطر أو صفحة وصفحتين مركزة على موقعها الجغرافي ووحشية سكانها نقلنا ابن بطوطة إلى معلومات كبيرة قياساً لسابقاتها عبر بيانه لانتشار الإسلام فيها وقيام ممالك إسلامية ترتكز على أسس قوية تكاد تشابه في تكوينها الدول الإسلامية في المغرب الإسلامي .

الدراسات السابقة : ومن الدراسات السابقة التي تطرقت للموضوع ولو بشكل بسيط بحث بعنوان " السودان الغربي عند أبن بطوطة وابن خلدون " لعثمان بناني وهو منشور في مجلة دعوة الحق بعددها " ٢٦٩ " الذي تناول فيه السودان الغربي وقارن بين ما كتبه ابن بطوطة وابن خلدون لكنه لم يركز بشكل واضح على الجوانب الحضارية للمنطقة ، وهناك دراسة أخرى لسيد حامد حريز بعنوان " وحدة الحضارة الإسلامية في أفريقيا بين حسن الوزان وتحفة ابن بطوطة ورحلات تشين خه وسفالية أحمد بن ماجد " وهو منشور على الشبكة الدولية الانترنت ولم يشر الباحث فيه للرحلة إلا بشيء بسيط جداً مركزاً على نقاط الاشتراك بين الرحلات التي تناولها .

المنهج المتبع : إن الأمر الذي ينوي البحث معالجته يتمثل في إبراز دور الرحالة المسلمين ممثلين بابن بطوطة في عرض حضارة أفريقيا ومدى تأثرها بالحضارة الإنسانية ممثلة بالحضارة العربية الإسلامية ، أما المنهج الذي سيتبع في البحث فيتمثل في عرض النصوص وتحليلها ومقارنتها بآراء وأقوال مؤرخين معاصرين لأبن بطوطة والوصول إلى صورة موحدة تظهر مكانة الإسلام وحضارته في المنطقة ، وقد تم تقسيم البحث إلى محورين الأول تطرق إلى رحلته إلى شرق أفريقيا ودورها في إظهار مؤثرات الإسلام على تلك المنطقة ، أما المحور الثاني فسيتطرق إلى رحلته إلى غرب أفريقيا .

الصعوبات : لقد واجهت البحث صعوبات تمثلت بقلة المعلومات التي أوردها ابن بطوطة عن المنطقة قياساً لكلامه عن بقية المناطق التي زارها ، فضلاً عن تركيزه على قصور حكام البلاد وتقاليدهم دون الكلام عن العامة في تلك البلاد .

أولاً : رحلته إلى شرق افريقيا :

لابد لنا قبل الخوض في التفاصيل من الإشارة بشيء بسيط عن صاحب الرحلة وسبب رحلته ، فابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي نسبة لمدينة طنجة في المغرب الاقصى التي ولد بها سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٤م) وقضى شبابه فيها حتى خرج منها كرحالة سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٦م) ليطوف في بلدان مختلفة بدءاً من المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وبلاد التتر وأفريقيا جنوب الصحراء ، وعند عودته إلى المغرب بدأ بتدوين رحلته على يد (محمد بن جزي الكلبي) في مدينة فاس سنة ٧٥٦هـ والتي تُرجمت إلى عدة لغات كالانكليزية والبرتغالية والفرنسية ، فضلاً عن ترجمة فصول منها إلى الألمانية .

أما سبب رحلته تلك فيبدو حبه للرحلة والسفر بين البلدان والذي ظهر بشكل جلي خلال رحلته للحج سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٦م والتي مر خلالها بالعديد من مدن المغرب الإسلامي كتلمسان ومليانة والجزائر وبجاية وقسنطينة وعنابة وسوسة وصفاقس وقابس وطرابلس الغرب ومسراته وسرت ، وحينما وصل مصر مر بالإسكندرية ومنها إلى القاهرة لينتقل بعدها إلى دمشق فالمدينة المنورة فمكة المكرمة[i] . ويبدو من خلال رحلته الأولى لأداء فريضة الحج انه كان يمتلك روح الرحلة والسياحة في العالم إذ كان بمقدوره أن يذهب إلى مكة المكرمة حال وصوله إلى مصر دون الحاجة للذهاب إلى بلاد الشام وزيارة دمشق . كما إن وجوده في مكة المكرمة جعله يفكر في تكرار رحلات الحج في الأعوام التالية وهو ما حصل فعلاً في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٨م والتي زار خلالها شاطئ السودان كما سماه وتجول في مدنه والتقى بحكامه ، ولم تقتصر زيارة ابن بطوطة لبلاد السودان على أفريقيا الشرقية بل شملت المناطق الواقعة في غربها والتي التقى فيها أيضاً بحكام تلك البلاد ونقل لنا صورة واضحة عن مجالسهم السلطانية .

وفي النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وصل ابن بطوطة إلى الساحل الشرقي الأفريقي والذي انفرد بتسميته بشاطئ السودان وبلاد السواحل[ii] في حين لم يتعامل احد معاصريه وهو ابن فضل الله العمري مع المنطقة كوحدة متكاملة إذ أشار إلى المناطق الواقعة في شرق أفريقيا لاسيما في بلاد الحبشة مطلقاً عليها (ممالك المسلمين في الحبشة)[iii] وكانت أولى محطاته في شرق أفريقيا ميناء زيلع[iv] واصفاً سكانه بأنهم بربر من السودان شافعية المذهب[v] وان بلادهم صحراء تبدأ من زيلع وتنتهي في مقديشو[vi] ، وفي زيلع يوجد الكثير من الجمال للحد الذي جعل رائحة المدينة نتنة من كثرة المذبوح منها ، وبعد خروجه منها توجه نحو مدينة مقديشو التي وصفها بأنها مدينة كبيرة يمتلك سكانها الكثير من الجمال والأغنام ، يُذبح في اليوم الواحد حوالي مائتي جمل[vii] . ويبدو أن تلك المذابح في مدينة مقديشو كانت خارج المدينة وبعيدة عن العمران قياساً لمكانها في مدينة زيلع .

فضلاً عن ذلك ففي مقديشو تُصنع الثياب الفاخرة المستوردة من قبل المصريين ، ومن شدة تمسك سكانها بالعمل التجاري فأنهم يتسابقون للصعود إلى السفن التي تصل سواحل بلادهم لاستقبال التجار ومعرفة ما لديهم من بضائع لشرائها مقابل بيعهم بضائع مقديشو ، والجميل في الأمر هو المنافسة الشريفة بين أولئك التجار المقدشيين إذ لا يحق لأحدهم التعامل مع تاجر اتفق معه تاجر آخر[viii] . وهذا الأمر ليس بالغريب عليهم كمسلمين بعد ان أكده الرسول محمد ﷺ بقوله : (لا يبيع أحدكم على بيع أخيه)[ix] .

وإذا ما كان المسافر فقيهاً فسوف ينزل في دار القاضي وهو المكان الذي يُستقبل فيه الفقهاء وطلبة العلم والشرفاء وهو ما حصل مع الرحالة أبن بطوطة إذ نزل ضيفاً على قاضي مقديشو والذي اصطحبه بدوره إلى شيخ مقديشو - أي سلطانها - (أبو بكر بن الشيخ عمر) والذي كان قد وجه رجاله باستقبال جميع السفن القادمة إلى بلاده ومعرفة من عليها من المسافرين والتأكد من وجود فقيه أو شريف على متنها ليتسنى له استقباله وضيافته[x] . ويبدو أن سلاطين أفريقيا قد تمثلوا بأخلاق سلاطين المشرق الإسلامي في حسن تعاملهم مع العلماء وحملة العلم وهو ما كان يفعله مثلاً السلطان المريني (يعقوب المنصور بن عبد الحق المريني ٦٦٨ه/١٢٧٠م- ٦٨٥ه/١٢٨٥م)[xi] من حسن استقبال ورعاية للعلماء[xii].

ويستمر الرحالة أبن بطوطة في بيان اهتمام سلطان مدينة مقديشو به وبأصحابه وإنزالهم في دار قريبة من قصره وتقديم الطعام لهم بشكل مستمر تقديراً لقدومهم من مكان اعتبره القاضي والسلطان والوزراء يمثل بلاد الحجاز على الرغم من كونه مغربياً وهو ما يفسر لنا اهتمام حكام السودان وعنايتهم بكل القادمين من مناطق تقع شمال الصحراء لعدهم أصحاب الفضل في انتشار الإسلام في المنطقة .

ومن خلال وصف ابن بطوطة نلاحظ مدى التزام سلطان مقديشو ورعيته بالنظافة والطهارة للصلاة والالتزام بوصايا الرسول محمد ﷺ والتي تقضي بارتداء الملابس النظيفة الطاهرة والتزين لصلاة الجمعة قائلاً (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)[xiii] ، كما قال عليه الصلاة والسلام (ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة ، سوى ثوب مهنته)[xiv] . ووفقاً لذلك نرى سلطان مقديشو يتوجه بكسوة جديدة لأبن بطوطة ومرافقيه قبل توجههم لصلاة الجمعة في المسجد الذي سيصلي فيه [xv] ، ووصف مدى اهتمام سلطان مقديشو بملابسه وملابس حاشيته في يوم الجمعة ، قائلاً إن السلطان يرتدي فرجية قدسي خضراء وتحتها من ثياب مصر الحسان كما يتقلد فوطة حرير ويضع في رأسه عمامة كبيرة ويرافقه وزرائه والقاضي والفقهاء وأمراء الجند وتُضرب أمامهم الطبول والأبواق وبعد انتهاء الصلاة يدخل الجميع إلى خيمة السلطان ويبقوا فيها حتى صلاة العصر[xvi] .

وكان سلطان مقديشو يجلس في كل يوم سبت للقضاء بين الناس وحل مشاكلهم بصحبة الوزراء والقاضي والفقهاء وأمراء الجُند ليفصل كل منهم باختصاصه فما كان متعلقاً بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان دون ذلك حكم فيه أهل الشورى كالوزراء والأمراء ، والأمر الذي يحتاج لتدخل السلطان كتبوا له فيه ليخرج لهم الجواب على ظهر البطاقة التي كتبوا عليها الشكوى[xvii] . ويبدو تأثر سلطان مقديشو بالإسلام وتعاليمه واضحاً من خلال سماعه للرعية وحل مشاكلهم بنفسه وهو ما كان يفعله الرسول محمد ﷺ وصحابته ومن تبعهم في ولاية أمر المسلمين[xviii] . ويتضح من خلال مراجعة ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عن زيارته لمدينة مقديشو انه قضى معظم أيامه قريباً من السلطان وحاشيته ولم يخرج للعامة ويلتقي بهم ولم يذكر شيئاً عن عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم ومجالسهم وتصرفاتهم في الأعياد والمناسبات الدينية والخاصة

وما أن تنتهي رحلة أبن بطوطة إلى مدينة مقديشو حتى يتوجه نحو جزيرة منبسي[xix] التي تبعد مسيرة يومين عن الساحل واصفاً أشجار الموز والليمون والاترج فيها مشيراً في الوقت نفسه إلى عدم وجود زراعة للخضراوات أو الحنطة أو الرز أو غيرها وإنما يُجلب ما يحتاجه السكان من مدن الساحل ، وقد اعتمد السكان على صيد السمك في طعامهم بشكل كبير ، وفيما يتعلق بالجانب الديني للمدينة فأن السكان شافعية أهل دين وصلاح وعفاف ، ومساجد المدينة مبنية من الخشب وفي بابها هناك بئر وربما اثنان تستخدم للوضوء ولشرب الماء ، كما يوجد حصير في باب المسجد يمسح بها المصلي رجليه قبل دخوله المسجد [xx] .

وبعد خروجه من مدينة منبسي وصل إلى مدينة (كلوا)[xxi] التي يصف أهلها بأنهم شديدو السواد ولهم شرطات في وجوههم وهم شافعية المذهب أيضاً كسكان منبسي وهم أهل جهاد يحاربون الكفار المحيطين ببلادهم ، ويقول الرحالة أبن بطوطة أن حاكم مدينة كلوا عند زيارته لها هو (أبو المظفر حسن المكنى بأبو المواهب)[xxii] والذي اشتهر بكثرة حملاته العسكرية ضد القبائل الوثنية القريبة من بلاده والتي غالباً ما كان ينتصر عليها ويحصل على الكثير من الغنائم ليقوم بتقسيمها واستخراج الخمس منها ليوزعه في مصارفه التي نص عليها القرآن الكريم ، وكان يأخذ حصة ذوي القربى ليدخرها ويعطيها للشرفاء الذين يقصدونه من العراق والحجاز وسواهما وقد ذكر ابن بطوطة عدداً من أولئك الأشراف الذين قصدوا سلطان كلوا[xxiii] .

وكان أبو المواهب هذا كثير العطف على الفقراء يجلس معهم ويسمع لشكواهم حتى التي تثقل كاهله والتي ربما تكون صعبة التحقيق بالنسبة لغيره ، فيذكر ابن بطوطة أن احد فقراء اليمن اعترض طريق السلطان ابو المواهب بعد خروجه من صلاة الجمعة طالباً مساعدته فأجابه السلطان اطلب ما تشاء فقال الفقير أعطني ملابسك التي ترتديها فقال السلطان هي لك فقال الآن فأجابه السلطان الآن سأدخل إلى بيت خطيب الجامع واستبدلها لتأخذها فربطها الفقير في منديل وذهب فعظم فعل السلطان بأعين الناس ويبدو أن ذلك الفقير أراد اختبار كرم السلطان لأنه أعاد الملابس فمنحه السلطان عشرة رؤوس من الرقيق وحملين من العاج بدلاً عنها[xxiv] .

ويبدو من خلال ما كتبه ابن بطوطة عن زيارته القصيرة لشرق أفريقيا مدى تأثير الإسلام على شعوب المنطقة من خلال تمسكهم حكاماً ومحكومين بما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكذلك انتقال النظم الحضارية العربية الإسلامية إلى المنطقة وتمسك الأفارقة بها وجعلها بديل عن النظم التي كانت تسير بلادهم ، إلا أن ما يؤخذ عليه هو عدم تطرقه إلى سودان وادي النيل متمثلاً في بلاد البجة والنوبة ولو بشكل بسيط في الوقت الذي تطرق فيه المؤرخ الادريسي لتلك المنطقة من خلال كلامه عن زواج العرب بالنوبيات ومدى تأثير ذلك الزواج على مسيرة انتشار الإسلام في المنطقة[xxv] .

كما أنه وعلى الرغم من زيارة ابن بطوطة لمصر إلا أنه لم يتطرق لمدرسة ابن رشيق في القاهرة والتي بُنيت من أموال السودان لتكون مكاناً لتعلم أبناؤهم ، كما لم يذكر رواق التكرور في الجامع الأزهر واللذان ذكرهما غيره من المؤرخين كابن خلدون[xxvi] .

<u>رحلته إلى غرب أفريقيا</u> :

يبدو أن الرحالة ابن بطوطة لم ينسى خلال حياته أن يزور السودان الغربي[xxvii] والذي لم يقم بذكر أقاليمه ومدنه كما فعل من سبقه من المؤرخين والجغرافيين المسلمين بل حتى المعاصرين له فنرى اليعقوبي وهو من مؤرخي القرن الثالث الهجري يذكر ممالك السودان الغربي كمملكة الزغاوة[xxviii] ومملكة ملل (مملكة مالي)[xxix] ومملكة الكوكو (لعلها السنغي) ومملكة غانا[xxx] في حين نجد القلقشندي وهو ذو عهد قريب من الرحالة ابن بطوطة يعرض ممالك السودان الغربي بشكل منظم ومدروس افتقرت له روايات رحالتنا فالقلقشندي يتحدث عن بلاد البرنو وبلاد الكانم وهما شمال نيجيريا حالياً والتي

أغفلها ابن بطوطة ، كما تطرق القلقشندي لبلاد مالي والصوصو[xxxi] وغانة وبلاد التكرور التي يجمع بين أعمدتها خمسة ممالك[xxxii] .

كانت رحلة ابن بطوطة تلك قد طرحت مجموعة تساؤلات يتمثل أولها في عدم حصول سفارة أو رحلة تؤيدها الدولة في المغرب قبل استلام المرينيين للحكم ؟ وهل أن لوصول دولة مالي إلى مكانة كبيرة والتي زاد من شهرتها في تلك الفترة رحلة الحج التي قام بها حاكمها منسا موسى[xxxiii] دور في ذلك ؟ ، كما أننا يمكن أن نسأل هنا هل كانت تلك الرحلة مقدمة لتوطيد علاقات كانت الغاية منها الإطلاع على السودان الغربي وما يحويه من ثروات كالذهب بشكل كبير ، لاسيما أن تلك التحركات قد أسفرت فيما بعد في عهد الدولة السعدية (٩٤٠-١٠١٢هـ/ ١٥٣٢ - ١٦٠٣م) عن السيطرة على البلاد على عهد أحمد المنصور السعدي[xxxiv] ، أم هي رحلة كبقية الرحلات التي حدثت في أماكن أخرى من الأرض ؟

وإذا ما حاولنا الإجابة عن تلك التساؤلات ابتداءً من الأول فأن الظروف التي كانت تحيط بدولة غانة لم تكن مواتية لكي تقيم علاقات دبلوماسية مع حكام المغرب أو أي بلد أخر ، فغانة كانت في بداية الأمر وثنية وحينما دخلت رسمياً في الإسلام كان حكامها هم أنفسهم حكام المغرب وهم المرابطون[xxxv] ، وبعد خروج المرابطين منها انشغل حكامها المسلمون من السوننك[xxxvi] بتثبيت أركان الدولة ونشر الإسلام[xxxvii] ، وفي الوقت الذي بدأت بالظهور كدولة غزاها الوثنيين من الصوصو[xxxviii] ، لذا لم تكن مهيأة لتقيم مثل تلك العلاقات . وللإجابة عن التساؤل الثاني فقد كان لشهرة دولة مالي في تلك الفترة دور كبير في ذلك التقارب من خلال متابعة الجميع وليس المرينيين فقط لرحلة حج منسا موسى ، لان ما خلفته تلك الرحلة وصل إلى أوربا أيضاً من خلال ما كتبه التجار البنادقة عنها ورسمهم لخرائط تحدد تلك الرحلة وصور تظهر منسا موسى جالساً وهو يرتكز على عصا من الذهب[xxxix] ، وفيما يتعلق بالمرينيين فقد وصلت شهرة تلك الرحلة إلى بلادهم منذ عهد السلطان أبي سعيد عثمان والد أبي الحسن (٧١٠-٧٣٠هـ/١٣١٠-١٣٣٠م) ، كما أن وجود الصلات التجارية والثقافية في تلك الفترة بين الجانبين ساعد في زيادة التواصل بينهما ، وربما كان لانشغال المماليك في مصر بمحاربة الصليبيين والمغول وتثبيت أركان الدولة سبباً في عدم تقربهم من السودان مما دفع حكام السودان إلى الالتجاء للمغرب الإسلامي[xl] .

ويضيف أحد المؤرخين المحدثين سبباً أخر إلى الأسباب التي قربت بين الدولتين تمثل في الخصال المتشابهة بين السلطان المريني أبي الحسن[xli] ومنسا موسى والمتمثلة في الالتزام بالشريعة الإسلامية ، وحبهما لأهل العلم والدين ، والحرص على مصالح المسلمين ، فضلاً عن الورع[xlii] . لا بل أننا نستطيع أن نتبنى التساؤل الذي طرحناه حول رغبة المرينيين في الإطلاع على تلك البلاد ومعرفة ما بداخلها من مواد خام يأتي في مقدمتها الذهب[xliii] .

إلا أن مسألة عد رحلة ابن بطوطة تجسسية وجاءت للإطلاع على ثروات بلاد السودان فأننا نستطيع ان نقلل من أهمية ذلك الرأي لأن رحلة أبن بطوطة لم تكن الأولى إلى المنطقة وسبقتها سفارات متعددة كتلك التي أرسلها السلطان (موسى بن أبي بكر التكروري) إلى بلاط المرينيين فرد عليها السلطان أبي الحسن المريني بتهيئة سفارة مماثلة لتذهب إلى بلاد السودان محملة بكمية كبيرة من الهبات والمتاع المغربية ، وأرسل معها عدداً من رجاله في مقدمتهم كاتب ديوانه أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي يرافقهم عدد من الأعراب الذين أوعز لهم السلطان بمرافقة السفارة ومنهم (علي بن غانم) أمير أولاد جار الله من عرب المعقل[xliv] . والأمر الذي يمكن تسجيله على ابن بطوطة هو عدم تطرقه للسفارات التي حدثت بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي والتي لم تكن بعيدة العهد عنه[xlv] .

لقد جاءت رحلته إلى دولة مالي سنة (٧٥٣هـ/١٣٥٢م) بأمر من السلطان المريني أبو عنان[xlvi] والتي دارت الشكوك حول دوافعها إلا أنها رغم ذلك قدمت لنا الكثير من المعلومات عن المنطقة وعن سلطانها (منسا سليمان)[xlvii] وحاشيته والاحتفالات التي تُقام في تلك البلاد ومجلس السلطان الذي يكاد يكون مشابهاً لما كان قد ألفه في مجالس سلاطين الدولة المرينية[xlviii] ، كما ذكر لنا انه شارك في مجلس عزاء أقامه منسا سليمان على روح السلطان أبي الحسن المريني[xlix] ، وهو تقليد لم يكن موجوداً فيما سبق في بلاد السودان فلم تذكره المصادر من قبل بينما كان مألوفاً في المغرب إذ يبدو أن منسا سليمان تعلم ذلك التقليد من خلال علاقات بلاده الدبلوماسية والتجارية الوطيدة بالمغرب .

كما وصف طريقة استقبال قصر السلطنة لشهر رمضان المبارك واحتفالهم بعيدي الفطر والأضحى ، واصفاً لنا ما كان يرتديه السلطان وحاشيته وبقية الناس خلال تلك الأيام الفضيلة ، ودخول المدينة في جو من الإيمان وتلاوة القرآن الكريم وقراءة كتب الفقه المالكي لاسيما في ليلة القدر وبقية ليالي شهر رمضان[l]. وينفرد ابن بطوطة بذكر بعض الأفعال التي يقوم بها حكام وسكان دولة مالي في هذا الشهر الكريم وهي لا تتفق وتعاليم الشرع الإسلامي كتعري بنات السلطان وجواريه لاسيما أثناء تقديم الطعام للسلطان وضيوفه ، فضلاً عن وضعهم التراب على رؤوسهم إذا ما أرادوا تحية السلطان[li] . وهذا الأمر لم يؤكده أي من المؤرخين والبلدانيين المسلمين الذين تناولوا تاريخ غرب أفريقيا من المعاصرين لأبن بطوطة أو اللاحقين لعصره ، وربما تكون مسألة التعري في نظر أبن بطوطة نابعة من كونه ينتمي لمجتمع مغربي محافظ جداً ترتدي فيه المرأة النقاب ولا يظهر منها شيء فيما عد ظهور شيء من جسد الأفريقيات تعري . ووصفه للتعري هذا ربما ينطبق على مكان تواجد الوثنيين وهو ما رواه لنا المؤرخ المقريزي حينما تحدث عن بلاد البجة بقوله : ((رجالهم ونساؤهم أبداً عُراة رد على عوراتهم خرق ، وكثير منهم لايسترون عوراتهم))[lii] . فضلاً عن ذلك فأن أبن سعيد المغربي حينما تحدث عن سكان نفس المنطقة التي زارها أبن بطوطة فرق بين الحضر والبدو بقوله ((أنهم في باديتهم عُراة غير أن المسلمين منهم يسترون فروجهم بعظام أو جلود والكفار لا يسترون))[liii] ويبدو من كلام المغربي ان الغالب على أهل الحضر الاحتشام فهو لم يعمم كما فعل أبن بطوطة .

وعلى الرغم مما وصلت إليه شهرة مدينة تنبكتو[liv] في الفترة التي زار فيها ابن بطوطة دولة مالي إلا أنه لم يعطها أهمية تُذكر فقد تمتعت المدينة في تلك الفترة بشهرة واسعة من خلال كثرة مساجدها وجماليتها وتشابهها مع ما موجود من عمارة في المغرب الإسلامي فضلاً عن الدور الثقافي والعلمي الكبير وارتباطها الفكري والعلمي بمدارس وجامعات المغرب الإسلامي وزيارة الكثير من علماء وفقهاء المغرب للمدينة والاشتغال بالتعليم فيها . إلا ان ابن بطوطة اكتفى بالحديث عن

أصول سكانها التي تعود إلى قبيلة مسوفة البربرية كما أشار إلى مكانة مسجدها ودار الخطيب وحرمتهما وعدم جواز ملاحقة من يدخلهما كما ذكر بعض علماءها دون الحديث عن دورهم ومكانتهم ودون التطرق للمدينة ككل[lv] . في الوقت الذي تحدث بعض المؤرخين المعاصرين له ومن تبعهم عن المدينة بتفصيل أكثر[lvi] .

وبسبب كون التجارة اللاعب الأساس في العلاقات بين جانبي الصحراء فقد تطرق ابن بطوطة إلى امتلاك الأفارقة لأهم سلعة تجارية بالنسبة للمغرب الإسلامي وهي الذهب فضلاً عن النحاس الذي يُجلب من مدينة تكدا[lvii] في بلاد السودان ليُصدر إلى بقية الأماكن التي يتاجرون معها ، بينما يصنع قسم أخر منه في دكاكين النحاس الموجودة في فاس[lviii] ، وكانت الطرق التجارية الرابطة بين المغرب وبلاد السودان مزدهرة وتعمل بشكل مستمر حتى وفاة السلطان أبي عنان المريني (٧٥٩هـ/١٣٥٩م) ووفاة منسا سليمان (٧٦٠هـ/١٣٦٠م) [lix] .

لقد رسم ابن بطوطة صورة واضحة للقارئ حول الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والسودان الغربي مشيراً إلى واحات الماء واستراحات القوافل المنتشرة في الصحراء والتي تزود المسافرين بالماء والمرشدين الذين يُطلق على احدهم اسم التكشيف والذي يقع على عاتقه التحرك أسرع من القافلة والوصول إلى مدينة (ايوالاتن)[lx] وتبليغ أصحاب أولئك التجار القادمين في القافلة بقدومهم ليكتروا لهم دوراً يبقوا فيها طيلة وجودهم في المدينة ومن لم يكن له صاحباً فيها يبلغ من اشتهر بالفضل من التجار بها لاستئجار الدار له ، وما ان تقترب القافلة مسافة أربعة أيام من المدينة حتى يخرج تجارها وهم يحملون الماء لتقديمه لأفراد القافلة[lxi] .

وقدم أبن بطوطة وصفاً لتلك الصحراء الموصلة إلى مدينة ايوالاتن والتي ارتاح لطيب هواءها ونور طريقها - ويبدو أن رحلته فيها صادفت في الأيام التي كان فيها القمر بدراً – كما اشار إلى سهولة ذلك الطريق وشدة الأمان بها وخلوها من السُراق وقُطاع الطُرق على عكس الطريق الموصل إلى مدينة (هكار) المليء باللصوص وقطاع الطُرق إلا ان فعلهم ذاك يتوقف خلال شهر رمضان والذي صادف خلاله مرور الرحالة أبن بطوطة في تلك المدينة[lxii] ، كما تحدث عن كثرة البقر الوحشية فيها والتي كانت تُصاد بالنشاب بعد مطاردتها بواسطة الكلاب ، ويحكي أبن بطوطة قصة تاجر تلمساني كان يرافقه في القافلة له رغبة في ملاعبة الأفاعي في تلك الصحراء والتي انتهت بتعرضه للسعة إحداها للحد الذي كاد ان يوصله للموت لولا مشيئة الله تعالى[lxiii] .

وعند وصوله إلى مدينة ايوالاتن يركز في وصفه للمدينة على حاكمها حسين المُلقب بـ (فربا) وتعني نائب السلطان الذي انتقده بشكل كبير بسبب عدم تكلمه باللغة العربية معهم رغم معرفته لها وكذلك تقديمه لشيء بسيط من الضيافة له ولمن معه كما اتبع نفس الأسلوب في الذم مع المشرف على المدينة المسمى (منشاجو) والذي لم يضيفه أيضاً بالشكل الذي يُحب على عكس قاضي المدينة الذي امتدحه كثيراً بسبب العطايا الكبيرة التي قدمها له[lxiv] .

ويصف أبن بطوطة مجلس فربا حسين بأنه في سقيف على بساط ويحيط به أعوانه وبأيديهم الرماح والقسي كما يقف خلفه كبار القوم من أبناء قبيلة مسوفة والتجار بين يديه ، وعلى الرغم من تأكيده على التزام سكان مدينة (ايوالاتن) بالإسلام وتعاليمه إلا أنه ينفرد دون غيره من المؤرخين والجغرافيين والرحالة بوصف رجالها بعدم الغيرة على نساءهم اللواتي يصفهن بعدم الاحتشام والاختلاط بالرجال والجلوس معهم دون خجل وهو ما ادعى مشاهدته حتى في منزل القاضي ، فضلاً عن ذلك فقد أكد على شدة الأمان في الطريق الرابط بين ايوالاتن ومالي العاصمة ، ومحافظة السودان على أموال التجار المسلمين الداخلين إلى بلادهم وإعادة تلك الأموال إلى أصحابها حتى بعد وفاتهم [lxv] . ويبدو من خلال وصف الرحالة أبن بطوطة لمجتمع دولة مالي أن هناك تنوع سكاني إلا أنه يركز على التجار منهم الذين يقول ان السودان منهم يسمون هناك (ونجراته) أما التجار البيض وهم من الأباضية[lxvi] فيسمون (صغنغو) فيما يُطلق على التجار السنة من غير السودان اسم (توري)[lxvii] .

أما عُملة تلك البلاد فهي متنوعة ففي عاصمة دولة مالي وفي مدينة كوكو كانت العُملة هي الودع أما في مدينة تكدا فكانت عملتهم قضبان النحاس التي يقومون بصبها لتكون على نوعين غلاظ ورقاق طولها شبر ونصف يشترونها من صناعها كل أربعمائة قضيب رقيق بمثقال ذهب يشترون بها اللحم والحطب وكل (٦٠٠-٧٠٠) قضيب غليظ بمثقال ذهب يشترون بها الذرة والسمن والقمح والرقيق ، إلا ان تلك العُملة ليست هي السائدة فالتعامل بالذهب كان متبعاً في شراء ما هو متميز من الرقيق ، فقد اشترى ابن بطوطة جارية مُعلمة – التي تم وضع علامة على وجهها – بـ (٢٥ مثقال ذهب) بصعوبة لأن سكان تكدا لايبيعون الجواري المعلمات إلا نادراً[lxviii] . وربما يكون سبب عدم بيعهن تميزهن عن غيرهن من الجواري من حيث الجمال والكفاءة لذلك كانوا يضعون علامات على وجوههن . ولم يقتصر البيع بالذهب على تلك المواد بل شمل المواد الغذائية فالقمح والذرة في مدينة تكدا يُشترى بالذهب فكل عشرين مُد[lxix] من القمح بمثقال ذهب وكُل تسعين مُد من الذرة بمثقال[lxx] .

وفي مجال الزراعة يصف ابن بطوطة أشجار ومزروعات المنطقة الفاصلة بين مدينة ايوالاتن ومدينة مالي العاصمة فيشير إلى كثرة الأشجار وضخامتها فرغم عدم امتلاك بعضها للورق والأغصان إلا أن ضخامة جذعها تساعد في تكوينها للظل لدرجة أن حائكاً اتخذ من إحداها مكاناً لعمله ، ويذكر أن هناك أشجار تشبه الأجاص والتفاح والخوخ والمشمش ، وشجر يحمل ثمر يشبه القثاء فضلاً عن استخراجهم لحبات من الأرض كالفول يقلونه ويأكلونه طعمه كطعم الحمص المقلي ، أما القرع فأنه كثير جداً وكبير للحد الذي يجعلهم يصنعون منه الجفان[lxxi] بعد تقسيمها لقسمين فإذا سافر احدهم تبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه وأوانيه التي يأكل ويشرب بها وهي من القرع ، وفي ذلك الطريق تتم عملية التبادل التجاري عن طريق المقايضة فالمسافر في تلك المنطقة لا يحمل نقوداً ولا طعاماً وإنما يحمل معه (قطع الملح والحلي المصنوعة من الزجاج وبعض العطور كالقرنفل وكذلك العلكة) ليبادلها مع ما تأتي به نسوة القرية (كالدجاج واللبن والأرز والفوني والعصيدة ودقيق اللوبيا)[lxxii] .

وفي نطاق جغرافية المنطقة نلاحظ الخطأ الذي وقع فيه أبن بطوطة بعده نهر النيجر نهر النيل[lxxiii] بذاته فهو يقوم بوصفه

حتى دخوله بلاد النوبة دون التدقيق في المكان الذي ينبع منه النهر أو الأماكن التي يمر فيها ، إلا أن وصفه ذاك افادنا في مسألة التعرف على المدن التي دخلها الإسلام ومدى التزام السكان به وقيام الكثير منهم بطلب العلم كسكان قرية (زاغري – تسمى اليوم ديورة -) التي تضم عدداً كبيراً من التجار السودان والبيضان – العرب والبربر - [lxxiv]

وحينما يُكمل حديثه عن جغرافية المكان لاسيما المناطق التي مر بها بعد خروجه من مدينة (ايوالاتن) يقول انه مر بمدينة زاغري التي ما ان خرج منها حتى وصل إلى نهر النيل – النيجر – والذي تقع عليه بلدة اسمها (كارسخو) لينحدر منها النهر نحو مدينة (كابرة) ثم إلى مدينة (زاغة) التي يقول إن سكانها مسلمون ويؤدي حاكمها وحاكم كابرة الطاعة لملك دولة مالي ، ويواصل حديثه مركزاً على جريان نهر النيجر ذاكراً المُدن الواقعة عليه فيذكر ان النهر ينحدر نحو مدينة تنبكتو بعد خروجه من زاغة ثم نحو كوكو واصلاً نحو مدينة (مولي) ثم مدينة (يوفي) التي يقول ان البيض لا يدخلونها لأنهم يقتلون ، ثم ينحدر النهر نحو النوبة داخلاً عاصمتها (دنقلة) التي كانت تُحكم من قبل بني الكنز وعليها (ابن كز الدين) ثم ينحدر النهر نحو جنادل وهي أخر عمالة أسوان في صعيد مصر[lxxv] .

وبعد مسير أربع وعشرين يوماً من مدينة (ايوالاتن) وصل أبن بطوطة إلى عاصمة دولة مالي التي لم يذكر أسمها واكتفى بتسميتها باسم الدولة ككُل في حين سماها المؤرخ أبن فضل الله العمري (ييتي)[lxxvi] كما قسم العمري دولة مالي إلى عدة أقاليم هي غانة وزافون وترنكا وتكرور وسنغانة وبانبقوا وزرنطابنا وبيترا ودوموروا وزاغا وكابرا وبراغوري وكوكو[lxxvii] . في حين تجاوز ابن بطوطة ذلك ولم يشر إلى التقسيمات الإدارية لأقاليم الدولة .

وفي معرض حديث ابن بطوطة عن عاصمة مالي يقول لايدخلها غريب حتى يستأذن من أهلها مما اضطره إلى أن يبعث إلى جماعة من البيضان – استخدمها ابن بطوطة لتمييزهم عن السودان - ليكتروا له داراً فيها وفي مقدمتهم (محمد بن الفقيه الجزولي)[lxxviii] و (شمس الدين بن النقويش المصري) ، وحينما وصل إلى العاصمة التقى بسلطان الدولة (منسا سليمان) واصفاً بلاطه وصفاً دقيقاً ومشيراً في الوقت ذاته إلى عمق العلاقات المرينية المالية على عهد ذلك السلطان ، فقد أسهمت تلك العلاقات في كبح جماح الأعراب ومنعهم من مهاجمة القوافل التجارية والعمل على تأمين طرقها ، كما أنها شجعت الكثيرين على السفر بين البلدين ، ولم يتوقف الأمر عند التجارة فقد ازدهرت الزراعة بسبب دخول أنواع جديدة من البذور والآلات الزراعية الحديثة من بلاد المغرب ، كما عمل حكام دولة مالي على توظيف المغاربة في بلاطهم ، فضلاً عن ذلك فأن الأئمة والخطباء في المساجد كانوا من المغاربة ، كما وجد طلبة العلم السودان ملاذهم في مدارس فاس والقيروان[lxxix] .

وشملت التأثيرات الحضارية المغربية بلاطات الملوك والحكام ، فكانت الطبول المستخدمة للتنبيه بخروج السلطان سليمان في دولة مالي نفسها المستخدمة في المغرب تحت اسم (تـريـال)[lxxx] كما كان بلاط سلاطين دولة مالي صورة لما كان سائداً في بلاط مراكش[lxxxi] . وكان السلطان في بلاد المغرب يجلس بنفسه لقضاء المظالم ويحضر معه حاشيته[lxxxii] ، والأمر نفسه شاهده الرحالة أبن بطوطة في دولة مالي حينما وصف لنا جلوس منسا سليمان لحل المشاكل والاقتصاص من الظالم حتى وإن كان من أقرب المقربين له وهو ما حصل فعلاً حينما علم بقيام زوجته بالتأمر عليه والخروج على قوانين الدولة فأمر بمعاقبتها رغم كونها مشاركة له في الحكم [lxxxiii] .

وكعادته لم يمتدح ابن بطوطة السلطان سليمان كونه لم يُقدم له الهدايا القيمة والضيافة الفخمة والتي اعتاد أبن بطوطة إذا ما حصل عليها أن يمتدح المانح بشكل كبير ، فقد ركز ابن بطوطة على إظهار بُخل السلطان مؤكداً أن الناس في بلاده تكرهه لذلك الأمر[lxxxiv] وقارن بينه وبين أخيه منسا موسى الذي أشتهر بالسخاء والكرم راوياً قصة ذلك الرجُل المعروف (بأبن شيخ اللبن) من مدينة تلمسان والذي كان قد أحسن للسلطان في شبابه فرد عليه السلطان إحسانه بسبعين ضعفاً ويزيد[lxxxv] .

والأمر الغريب في تعامل أبن بطوطة مع عطايا السلاطين في البلدان التي زارها في أفريقيا جنوب الصحراء يتمثل في قيامه بطلب العطايا بنفسه وهو ما فعله مع (منسا سليمان) حينما عرفه بنفسه[lxxxvi] . كما تكلم بشيء حسن عن سلطان مدينة (تكدا) البربري الأصل والمعروف باسم (إزار) لأنه أكرمه عند وصوله إليها[lxxxvii] .

وفي رواية أخرى عن كرم حكام بلاد السودان يذكر أبن بطوطة تكريم حاكم قرية وصلها بعد خروجه من مدينة تنبكتو يقول انه نسي اسمها لكنه يذكر ان حاكمها اسمه (فربا سليمان)[lxxxviii] ويصفه بالشجاعة والشدة وسرعته في تلبية طلبات ضيوفه فما ان التمس ابن بطوطة منه أن يعطيه ومن معه الذرة لحاجتهم إليها حتى نفذ الأمر ودعاهم لتناول الطعام معه ، إلا أن ما يؤخذ على رحالتنا انه يبالغ في تعاطي ذلك الحاكم مع خبر وفاة ابنته فما أن سمع الرجُل الخبر حتى خرج من داره بصحبة ابن بطوطة قائلاً انأ لااحب البُكاء وتمشيا حتى وصلا النهر وتناولا الطعام وودع الحاكم ابن بطوطة وعاد[lxxxix] .

فضلاً عن ذلك فقد وصف ابن بطوطة مقدار الطاعة والاحترام الذي يبديه سكان دولة مالي لسلطانهم لاسيما أولئك الذين يُنعم عليهم في مجلسه إذ يقوم المُنعم عليه بلبس ملابس قديمة وينزع عمامته ويدخل على السلطان رافعاً ملابسه إلى نصف ساقه ويتقدم أمامه حتى يقترب منه فيضرب الأرض بمرفقيه ويتخذ وضع الركوع سامعاً كلامه[xc] .

وعند مقارنة روايات أبن بطوطة عن المنطقة بروايات معاصره المؤرخ ابن فضل الله العمري نرى انفراد العمري بسرد قصة منح الوثنيين في المناطق المجاورة لدولة مالي فتاة جميلة كل عام كهدية للسلطان المالي[xci] . الأمر الذي لم يتطرق له أبن بطوطة عند زيارته لعاصمة الدولة وربما يكون ذلك التقليد قد تم إتباعه على عهد منسا موسى الذي توفي قبل زيارة الرحالة .

وفي الجانب العلمي ونتيجة لتفوق المدن المغربية علمياً على مدن بلاد السودان فقد تطلع الكثير من علماء دولة مالي إلى زيارة تلك المدن والدراسة فيها والالتقاء بعلمائها وفقهائها ، إذ يُذكر أن (عبد الرحمن التميمي) القادم من الحجاز إلى دولة مالي توجه في عهد منسا موسى إلى فاس ونهل من علومها ثم عاد ثانية إلى مدينة تنبكتو ليعلم تلاميذه هناك ما تعلمه هو في فاس[xcii] ، فضلاً عن ذلك فقد اقبل الأفارقة في دولة مالي على حفظ القرآن الكريم وهو ما أكده أبن بطوطة حينما شاهد الصبيان مكبلي الأرجل كونهم لم يحفظوا ما مطلوب منهم حفظه من القرآن الكريم في ذلك اليوم ، كما ان حبهم للإسلام ورغبتهم في تأدية فروضه دفعتهم للتسابق في الذهاب للمسجد لاسيما في صلاة الجمعة[xciii] .

وأشار أبن بطوطة إلى الكثير من الفقهاء والعلماء الذين التقى بهم في مدينتي (كوكو) و (بردامة) والذين ضيفوه خلال رحلته إلى غرب أفريقيا كالفقيه (محمد بن عمر) و(الحاج محمد الوجدي التازي) و(محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان في مدينة كوكو) و(قاضي مدينة بردامة أبو إبراهيم بن إسحاق الجاناتي) و(جعفر بن محمد المسوفي) و(سعيد بن علي الجزولي)[xciv] . ويبدو من خلال استعراض تلك الأسماء أن اغلب حامليها ينتمون إلى قبائل المغرب الإسلامي إلا ان مايؤخذ عليه في ذكره لتلك الأسماء هو عدم ذكرها بشكل كامل وعدم إعطاء نبذة عنها كقوله ان قاضي مدينة تكدا اسمه (محمد بن عبد الله) والخطيب محمد والمُدرس أبو حفص[xcv] .

وفي الجانب العمراني فقد كان للمهندس المراكشي (أبو إسحاق الساحلي)[xcvi] الذي قدم مع منسا موسى من الحجاز دور كبير في بناء مسجد مدينة (جني) والذي يُعد مثالاً على تمازج الفن العربي الأفريقي ، فضلاً عن دوره في تصميم وبناء مساجد وقصور أخرى في البلاد [xcvii] . وقد أكد المؤرخ السعدي أن العمارة في بلاد السودان جاءت في أغلبها من بلاد المغرب بقوله : (ولم تأته العمارة إلا من المغرب ، لا في الديانات ، ولا في المعاملات)[xcviii] . ويبدو أنه شمل كل تطور حضاري وليس العمارة بمعناها المحدد بذلك القول فقط .

كما شملت تلك التأثيرات التي وصلت دولة مالي في نفس القرن الذي حصلت فيه تلك الرحلة الملابس فكانت ملابس سكان مملكة مالي مشابهة لملابس المغاربة الجباب والدراريع ، فضلاً عن العمائم ذات الحنك[xcix] ، ولم تقتصر ملابس السودان على مايستورد من المغرب الإسلامي بل شمل ما كان يُجلب من مصر من قبل تجار مدينة تكدا[c] . إلا أننا لا نلاحظ وصفاً دقيقاً وتفصيلياً من قبل ابن بطوطة لملابس سكان السودان الغربي كما فعل المؤرخ القلقشندي حينما وصفها بقوله : ((لباسهم عمائم بحنك مثل الغرب (المغرب) وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم في نهاية الرقة واللطف تسمى الكميصا ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج ، والأبطال من فرسانهم تلبس اساور من ذهب فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقاً من ذهب فإن زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب وكلما زادت فروسية البطل البسه الملك سراويل متسعة وسراويلهم ضيقة اكمام الساقين متسعة الشرج))[ci] .

وفي معرض حديث أبن بطوطة عن حيوانات دولة مالي يشير إلى وجود فرس النهر الذي سماه (خيل البحر) - كونه قد عد نهر النيجر بحراً – ويصفها بأنها أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وأرجلها كأرجُل الفيلة[cii] . في حين نرى أن المؤرخ البكري يختلف عن ابن بطوطة في وصفه لذلك الحيوان قائلاً أنه يشبه الفيل في حجمه وأنيابه وهو يسبح في نهر النيجر – يسمونه النيل – وان أهل مدينة سلي يصطادونه ويأكلون لحمه[ciii]

ولرحلة أبن بطوطة إلى غرب أفريقيا أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ المنطقة المكتوب فعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت له لاسيما المتعلقة منها بمصداقية وصوله للأماكن التي ذكرها في رحلته الأولى إلى الشرق إلا أن ما ذكره عن بلاد السودان كان كفيلاً بوضعه في مقدمة المؤرخين والرحالة المسلمين الذين قدموا صورة واضحة عن المنطقة ، فحال عودته من رحلته تلك أعطى السلطان أبو عنان المريني أوامره لكاتبه (محمد بن جزي) لكتابة ما يمليه عليه أبن بطوطة من وصف لرحلته إذ ان المعلومات كانت حاضرة في ذهنه لقرب حدوثها[civ] .

وقد اعتمد المؤرخ الأفريقي عبد الرحمن السعدي في كتابه (تاريخ السودان) على معلومات كان قد ذكرها من قبل الرحالة أبن بطوطة في كتابه (تحفة النظار) ، فقد أشار في العديد من صفحات كتابه للنصوص التي ذكرها ابن بطوطة وهو اعتراف لا مثيل له من مثقف سوداني لرحالة مغربي زار وطنه وتحدث عنه بأمانة وصدق[cv]

لقد ترك أبن بطوطة معلومات قيمة استغلت لتوضيح بعض جوانب التاريخ الاقتصادي والسياسي والثقافي لمملكة مالي ومدى استغلال الملح والنحاس في السودان الغربي ومراكز إنتاج الذهب ودور الفن الشعبي في الاحتفاظ بتاريخ الشعب في ذاكرة الناس ، وانتشار اللغة العربية ومدى انتشار الإسلام والتقاليد الإسلامية ، ومدى اختلاط الإسلام كعقيدة بالتقاليد الوطنية القديمة ، وعلاقات مملكة مالي بالمشرق من ناحية وبالمغرب من ناحية أخرى[cvi] إلا ان ما يؤخذ على تلك الرحلة يتمثل في عدم ذكر صاحبها لسياسة دولة مالي الداخلية والخارجية وعدم تطرقه لأسماء وزراء الدولة وموظفيها على الرغم من تواجده في القصر بشكل مستمر .

أما المُدة التي قضاها ابن بطوطة في دولة مالي فيمكن حسابها من تاريخ سفره من مدينة سجلماسة في الأول من محرم سنة ٧٥٣هـ ليستمر مسيره لشهرين حتى وصوله إلى مدينة ايوالاتن في غرة شهر ربيع الأول لنفس العام والتي غادرها متجها نحو عاصمة الدولة في الرابع عشر من شهر جمادى الأولى وبقى فيها حتى خرج متجهاً نحو مدينة (ميمة) في الثاني والعشرين من محرم سنة ٧٥٤هـ لتنتهي بعدها رحلته إلى مدينة (تكدا) في الحادي عشر من شهر شعبان سنة ٧٥٤هـ والتي توجه منها نحو مدينة (هكار) خلال شهر رمضان في نفس العام ليتجه بعدها نحو نقطة انطلاقه الأولى وهي مدينة سجلماسة التي وصلها في أواسط ذي القعدة عام ٧٥٤هـ [cvii] . وعلى الرغم من المدة الطويلة التي تصل إلى حوالي العامين والتي قضاها في بلاد السودان إلا أن معلوماته عن المنطقة وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم تكاد تكون قليلة وربما يكون السبب في قلة معلوماته عن المجتمع الأفريقي هو ملازمته لحكام البلاد والبقاء في مجالسهم مما لم يتح له المجال للقاء العامة ومعرفتهم .

نتائج البحث :

١- للرحلات دور كبير في نقل تاريخ وحضارة الشعوب إلى الآخرين .
٢- لرحلة أبن بطوطة إلى أفريقيا دور واضح في نقل مستوى معلوماتنا عن المنطقة إلى درجة عالية قياساً لما كتبه سابقيه من الرحالة المؤرخين والجغرافيين المسلمين .
٣- أعطتنا رحلة أبن بطوطة صورة واضحة عن حدود دولة مالي الإسلامية والطرق الرابطة بينها وبين بلدان المغرب الإسلامي .
٤- أمام تشكيك البعض في مصداقية ما كتبه أبن بطوطة في كتابه (تحفة النظار) فقد تم التوصل لقناعة بمصداقية تلك المعلومات استناداً لتأييد مؤرخي المناطق التي زارها في غرب أفريقيا .
٥- رسمت رحلة أبن بطوطة إلى أفريقيا صورة لنظام الحكم القائم هناك سواء في شرق أفريقيا أو غربها .
٦- كانت الرحلة خير مرجع للدارسين للعلاقات الدبلوماسية بين المغرب العربي الإسلامي والسودان الغربي .
٧- العلاقات الثقافية بين المغرب ودولة مالي ممثلة بانتشار اللغة العربية والعلوم الشرعية في دولة مالي كانت إحدى الحقائق التي نقلها لنا ابن بطوطة .
٨- يجد من يتابع رحلة أبن بطوطة إلى غرب أفريقيا مدى التمازج السكاني بين الزنوج والعرب والبربر من خلال استيعاب كل منهم للآخر تحت خيمة الإسلام الكبرى .
٩- ما يؤخذ على الرحالة أبن بطوطة هو مديحه المستمر لحكام وسلاطين الدول والمدن التي أُستقبل فيها بشكل جيد ومنحه حكامها العطايا الكبيرة وذمه للمدن التي لم يمنحه حكامها شيئاً .
١٠- في الوقت الذي ركز فيه ابن بطوطة على ذكر سلطان دولة مالي وحكام المُدن والأقاليم التابعة لها اغفل الحديث عن العامة وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

الهوامش والتعليقات :

[i] محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، اعتنى به وراجعه : مصطفى الجويدي ، المكتبة العصرية ، (بيروت:٢٠٠٧) ، مقدمة المحقق ، ص٨ .

[ii] تحفة النظار : ٢٢١/١ – ٢٣٣ .

[iii] شهاب الدين احمد بن يحيي بن فضل الله العمري ، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، دار الكُتب العلمية ، ط١ ، (بيروت:٢٠١٠) ، ص٣٢ .

[iv] زيلع : ويسميها الادريسي زالغ وتقع على البحر الأحمر وهي صغيرة المساحة إلا ان سكانها كُثر ويصل إليها الكثير من التجار العرب . ينظر : ابو عبد الله محمد بن ادريس الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مطبعة بريل (ليدن:١٩٦٨) ، ص٢٥ .

[v] الغريب انه حينما قال أن سكانها شافعية عاد في نفس الصفحة وقال أن اغلب سكانها رافضة . ينظر : تحفة النظار :٢٢٩/١ ، وفي نفس القرن الذي عاش فيه يقول ابن فضل الله العمري أن سكانها شافعية وبعضهم حنفية ولم يذكر أن من بينهم رافضة . ينظر : مسالك الإبصار ، ص٣٣ .

[vi] مقديشو : مدينة في اول بلاد الزنج جنوب اليمن في بر البربر وهؤلاء البربر غير البربر الذين هم بالمغرب لأنهم سود يشبهون الزنوج وهم جنس متوسط بين الحبش والزنوج ، ومدينة مقديشو على ساحل البحر . ينظر ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت (بيروت:١٩٥٥) : ٥ / ١٧٣ .

[vii] ابن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٢٩/١ .

[viii] المصدر نفسه : ٢٢٩/١ .

[ix] ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق وتعليق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، (بيروت:١٩٨٧) : ٧٥٢/٢ .

[x] أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٣٠/١ .

[xi] يعقوب المنصور : وهو أحد سلاطين الدولة المرينية وسيدها كما كان يسمى ، وهو رابع الأخوة الذين تولو الأمر بالمغرب من بني عبد الحق ، توفى أواخر سنة (٦٨٥ه/١٢٨٥م) بعد مرض ألم به ، وكان طيلة حياته صالحاً عادلاً محباً للعلماء والصلحاء مقرباً لهم . ينظر : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط١ ، (القاهرة:د/ت) : ٧/٤

[xii] منصور عبد الحكيم ، هارون الرشيد الخليفة الذي شوه تاريخه عمداً ، دار الكتاب العربي ، ص٢٧٦ .

[xiii] البخاري ، الجامع : ٢/٢ ؛ الإمام مالك ، موطأ الإمام مالك بن أنس برواية ابن القاسم ، تحقيق : السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي ، منشورات المجمع الثقافي ، ط١ ، (أبو ظبي:٢٠٠٤) ، ص١٨٩ .

[xiv] ابن ماجة ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، (بيروت:د/ت) : ٣٤٨/١ .

[xv] أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٣٠/١-٢٣١ .

[xvi] أبن بطوطة ، المصدر نفسه : ٢٣١/١ .

[xvii] أبن بطوطة ، المصدر نفسه : ٢٣٢/١ .

[xviii] إبراهيم بن علي بن محمد فرحون ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، (القاهرة:١٩٨٦) : ٤١/١ .

([xix]) منبسي : وهي جزيرة كبيرة بأرض الزنج على الساحل الشرقي لأفريقيا تبعد عن الساحل مسيرة (٩٦كم) في البحر وهي حالياً ضمن حدود دولة كينيا . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ٢٠٧/٥ .

([xx]) ابن بطوطة ، تحفة النظار : ١/ ٢٣٢ .

([xxi]) كلوا : مدينة من مُدن شرق أفريقيا سُميت أيضاً بأرض الزنج . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ٤٧٨/٤

([xxii]) أبو المواهب : هو حاكم مدينة كلوا في الساحل الشرقي لأفريقيا ، قابله أبن بطوطة خلال رحلته حينما زار المدينة سنة (٧٣١هـ/١٣٣٠م) ، حكم بلاده لمدة ثمانية عشر عاماً كان خلالها مثالاً للكرم والجود وحريصاً على تطبيق أوامر الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، فهو يجمع ما يحصل عليه من حروبه مع كفار الزنج من غنائم ويخرج خمسها ويصرفه في مصارفه الشرعية . ينظر : محمد عبد الله النقيرة ، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، (الرياض:١٩٨٢) ، ص١٩٠ .

([xxiii]) أبن بطوطة ، تحفة النظار :٢٣٣/١ .

([xxiv]) أبن بطوطة ، المصدر نفسه : ٢٣٣/١ .

([xxv]) الادريسي ، صفة المغرب ، ص١٢ .

([xxvi]) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت:١٩٥٦) : ٢٠٠/٦ .

([xxvii]) أطلق المؤرخين والجغرافيين السابقين والمعاصرين لأبن بطوطة مصطلح بلاد التكرور على السودان الغربي والذي يعود في الأصل لمدينة واقعة على الجهة اليسرى لنهر السنغال إلا ان ابن بطوطة لم يتطرق لذلك المصطلح بشكل نهائي . ينظر : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، (الجزائر:١٨٥٧) ، ص١٧٢ ؛ ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافية ، ص٩١ ؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي ، تاريخ السودان ، وقف على طبعه : هوداس ، (باريس:١٩٦٤) ، ص٦٤ .

([xxviii]) الزغاوة : بفتح أوله وفتح الواو اسم جنس وبلد من السودان ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ١٤٢/٣ . ويفسر البعض كلمة ـ زغاوة ـ بأنها مشتقة من كلمة سك أو سغ ومعناها معسكر في لغة تماشك وهي لغة نبلاء الطوارق ، وهي مملكة وثنية في السودان الأوسط . ينظر : إبراهيم علي طرخان ، إمبراطورية البرنو الإسلامية،(القاهرة : ١٩٧٥) ، ص٥٠ .

([xxix]) مملكة مالي: هي إحدى دول السودان الغربي قامت على أنقاض دولة غانة ومدت نفوذها لتشمل المنطقة التي يحدها الصحراء الكبرى من الشمال والغابات الاستوائية من الجنوب والمحيط الأطلسي من الغرب وثنية نهر النيجر من الشرق . ينظر : أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب المصرية ، ط١ ، (بيروت : ١٩٨٧) : ٢٦٣/٥ ؛ أحمد الشكري ، الإسلام والمجتع السوداني – إمبراطورية مالي – ١٢٣٠/١٤٣٠م ، (أبو ظبي:١٩٩٩) ، ص٥٨ .

([xxx]) احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار العراق ، (بيروت:١٩٥٥) :٢١٩/١

([xxxi]) الصوصو : قبائل وثنية موجودة في مناطق السودان الغربي ، كانت السبب في سقوط دولة غانة الإسلامية حينما هاجم حاكمها (سومانجارو) عاصمتها . ينظر : الشكري ، الإسلام ، ص١٨٣ .

([xxxii]) القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٦٣/٥ ؛ الشكري ، الإسلام ، ص٥٨ .

([xxxiii]) منسا : وهو لقب من الألقاب التي اتخذها سلاطين السودان الغربي وتعني الحاكم عند الماندنجو ، وفي البداية كان لقب رئيس القرية ثم توسع . ينظر : دريد عبد القادر نوري ، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء ، (الموصل : ١٩٨٥) ، ص٢٩٩ . وموسى : هو السلطان موسى بن أبي بكر التكروري حاكم دولة مالي الإسلامية للفترة (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) ، وهو صاحب رحلة الحج الشهيرة والتي التقى خلالها في مصر السلطان محمد بن قلاوون . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٩٥/٥ .

([xxxiv]) أحمد المنصور : هو السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله بن السلطان أبي عبد الله ، ولد بفاس سنة ٩٥٦هـ ، وهو أحد خلفاء الدولة السعدية وكان قد بويع بالإمامة سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م بعد انتصاره على البرتغاليين في معركة وادي المخازن وعاصر السلطان العثماني مراد بن سليم ، وكان المنصور غزا بلاد السودان الغربي واحتلها ، وتوفي سنة ١٠١٢هـ .ينظر : أبو العباس احمد بن خالد السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء : ١٩٩٧) : ٨٩/٥ .

([xxxv]) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، (دمشق:١٩٦٨) ، ص١٢٥ .

([xxxvi]) السوننك : وهم إحدى قبائل الماندنجو الذين كانوا يقيمون في الصحراء ثم تركوها واتجهوا إلى الحافة الجنوبية وامتزجوا بالبربر والفولانيون ، وهم زراع مرتبطون بالأرض إلا أن ذلك لم يمنع عملهم في حرف أخرى ، ويُعد السوننك مؤسسوا دولة غانة الإسلامية. ينظر : إبراهيم علي طرخان ، إمبراطورية غانة الإسلامية ، (القاهرة:١٩٧٠) ، ص٥١ .

([xxxvii]) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (بيروت:١٩٧٠) ، ص٩٢ .

([xxxviii]) أ بن خلدون ، العبر : ٤٩٥/٥ .

([xxxix]) طرخان ، دولة مالي ، ص٨٨ .

([xl]) الشكري ، الإسلام والمجتمع ، ص٢٧٢ .

([xli]) أبي الحسن المريني : هو السلطان المريني علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الملقب بأبي الحسن المنصور بالله ، وهو يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لسمرة لونه ، أمه حبشية ، وقد بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م بعهد منه ، وقد استنجد به بنو الأحمر حينما أحتل الإفرنج جبل طارق فلبى ندائهم وأرسل الجيوش وأفتتح الجبل وحصنه ، استمر في الحكم حتى خلعه أبنه أبو عنان . ينظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، (بيروت :١٩٦٩) : ١٢٦/٥ .

([xlii]) الشكري ، المرجع نفسه ، ص٢٧٢-٢٧٣ .

([xliii]) الشكري ، المرجع نفسه ، ص٢٧٥-٢٧٦ .

([xliv]) أبن خلدون ، العبر :٢٦٦/٧ ؛ السلاوي ، الاستقصا : ١٥١/٣-١٥٢ ؛ محمد الغربي ، بداية الحكم المغربي للسودان الغربي ، إشراف : نقولا زيادة ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر (الكويت:١٩٨٢) ، ص٤٩-٥٠ .

([xlv]) ابن خلدون ، العبر : ٢٠٢/٦ .

([xlvi]) أبو عنان : هو المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ، بويع بتلمسان حينما قام على أبيه سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م وقد بقي في الحكم تسع سنين وتسعة أشهر حتى مات مقتولاً من قبل وزيره الحسن بن عمر . ينظر : أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ، النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، تحقيق : عدنان محمد آل طعمة ، دار سعد الدين ، (دمشق:١٩٩٢) ، ص٥١ .

([xlvii]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٧٦/٢ .

([xlviii]) أبن بطوطة ، المصدر نفسه : ٢٨٠/٢ . والدولة المرينية : هي إحدى الدول التي حكمت بلاد المغرب بعد أن قامت على أنقاض دولة الموحدين في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، وقد بقيت الدولة تحكم المغرب حتى تدهورت أحوالها وكثرت الثورات ضدها مما أدى إلى سقوطها سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٥م) . ينظر : علي محمد محمد الصلابي ، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين ، ط١ ، (القاهرة:٢٠٠٣) ، ص٢٣٤-٢٣٥

([xlix]) أبن بطوطة ، نفسه :٢٧٥/٢ .

([l]) أبن بطوطة ، نفسه : ٢٧٩/٢ .
([li]) أبن بطوطة ، نفسه : ٢٨٢/٢ .
([lii]) تقي الدين احمد بن علي المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة المثنى ، (بغداد :د/ت) :١٩٥/١ .
([liii]) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٧٠) ، ص٩١ .
([liv]) تنبكتو : مدينة في السودان الغربي تقع عند الحافة الجنوبية لمنحنى نهر النيجر ، وهي حلقة وصل بين الصحراء الكبرى والسودان الغربي ، تشير أغلب الآراء أنها تأسست في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على يد الطوارق . ينظر : الهادي المبروك ، العلاقات ، ص١٦ .
([lv]) ابن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٨٥/٢ .
([lvi]) العمري ، مسالك الإبصار ، ص٤٦ ؛ السعدي ، تاريخ السودان ، ص٢١ .
([lvii]) تكدا : وردت في بعض المصادر باسم تكرا . ينظر : العمري ، مسالك الإبصار ، ص٧٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٩١/٥ وهي مدينة تبعد عن مدينة ورقلان ٧٠ يوماً وهي بين مُدن غاو وأير في أقصى شمال دولة مالي . ينظر : طرخان ، دولة مالي ، ص١٤٠ .
([lviii]) الحسن بن محمد الفاسي الوزان ، وصف أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي و محمد الأخضر ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ط١ ، (الرباط:١٩٨٢) :٢٤٨/١ ؛ الشاهري ، الدولة ، ص٧٦ .
([lix]) الشكري ، الإسلام ، ص٢٣٨ .
([lx]) ايوالاتن : مدينة من مدن دولة مالي الإسلامية تبعد عن مدينة سجلماسة المغربية حوالي الشهرين ، انفرد ابن بطوطة في تسميتها بهذا الاسم . ينظر : تحفة النظار : ٢٧١/٢ فيما سماها المؤرخ ابن خلدون (ولاتن) . ينظر : العبر : ١١٧/٧ وسماها المؤرخ الحسن الوزان باسم (ولاته) وإنها تبعد (٥٠٠ ميل) عن =تنبكتو و (١٠٠ ميل) عن المحيط الأطلسي . ينظر : ١٦١/٢ فيما أطلق عليها المؤرخ الأفريقي السعدي (ولات) . ينظر : تاريخ السودان ، ص٢١ ، بينما لم يذكرها المؤرخ ابن فضل الله العمري .
([lxi]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢/ ٢٦٩-٢٧٠ .
([lxii]) أبن بطوطة ، المصدر نفسه : ٢٩٠/٢
([lxiii]) المصدر نفسه : ٢٧٠/٢ .
([lxiv]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٧١/٢ .
([lxv]) المصدر نفسه :٢٧١/٢ .
([lxvi]) الأباضية : فرقة من الخوارج ، مؤسسها عبد الله بن يحيى بن اباض ، خرج في نهاية الخلافة الأموية وانتشر مذهبه بالمغرب ، ومذهبهم يقوم على الكفر بالكبائر ، ويؤكد على أن أفعال البشر مخلوقة لهم ، وليس في القرآن خصوص ، وكل من خالفهم كفر ويستحق العقاب . ينظر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، (بيروت: ١٤١٣ه/١٩٩٣م) : ٣٣/٢٥ .
([lxvii]) نفسه : ٢٧٣/٢ .
([lxviii])ابن بطوطة ، تحفة النظار:٢٨٦/٢-٢٨٨ .
([lxix]) المُد : وهو احد المكاييل الإسلامية والمُد الشرعي في فجر الإسلام في المدينة المنورة يساوي ٥ر٨١٢ غم قمح والمُد المغربي يساوي ٨٠ اوقية ويساوي (٣٢٨ر٣ كغم) وفي مراكش يساوي ٧٨٦ر٢كغم . ينظر : فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان وما يعادلها بالنظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، (عمان:١٩٧٠) ، ص٧٤-٧٥ .
([lxx]) ابن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٨٧/٢ .

([lxxi]) الجفان : مفردها جفنة وهي وعاء للأطعمة وقيل للبئر الصغيرة جفنة تشبيهاً بها . ينظر : محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر ، (بيروت ، دمشق : ١٤١٠هـ)

([lxxii]) أبن بطوطة ، تحفة النظار :٢٧٣/٢ . وقد أكد المؤرخ الحسن الوزان قيام السودان باستخدام قشور القرع في نقل البضائع حتى يقول انه شاهد بعضهم ممن يعمل في تلك المهنة وقد تساقط شعره من كثر حمله لتلك القشور على رأسه . ينظر : وصف أفريقيا : ١٧٥/٢ .

([lxxiii]) سماه ابن بطوطة بنهر النيل ويبدو انه لم يكن يعرف ان نهر النيجر يبتدئ من جبال فوتاجالون بغينيا الحالية ويصب في المحيط الأطلسي في نيجيريا ولا علاقة له بنهر النيل فكلام ابن بطوطة صحيح حتى مدينة (يوفي) والتي تسمى اليوم (نوب) وهي على نهر النيجر ، أما منطقة (دنقلة) فهي تقع على نهر الغزال أحد روافد نهر النيل ولا علاقة لها بنهر النيجر . ينظر : تحفة النظار : ٢/ هامش رقم (٢) تعليق المحقق ، ص٢٧٤ .

([lxxiv]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٧٣/٢-٢٧٤ .

([lxxv]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٧٣/٢-٢٧٤ .

([lxxvi]) العمري ، مسالك الإبصار : ٤٩/٤ .

([lxxvii]) العمري ، نفسه : ٤٩/٤ .

([lxxviii]) محمد بن الفقيه الجزولي : وهو زعيم أو كبير جماعة البيضان المغاربة في عاصمة دولة مالي الإسلامية خلال زيارة الرحالة أبن بطوطة لها ، وهو زوج بنت عم سلطان تلك البلاد منسا سليمان . ينظر : محمد الشريف ، الجالية المغربية ببلاد السودان (ق ٨هـ/١٤م) ملاحظات حول دورها في التفاعل الحضاري بين ضفتي الصحراء ، بحث على الشبكة الدولية الانترنت .

([lxxix]) الغربي ، بداية الحكم المغربي ، ص٥١ .

([lxxx]) القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٨٩/٥ .

([lxxxi]) نعيم قداح ، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، مراجعة : عمر الحكيم ، (كوناكري:١٩٦٠) ، ص١٠٦ .

([lxxxii]) روجيه لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : الدكتور نقولا زيادة ، مكتبة لبنان (بيروت:١٩٦٧) ، ص١١٨-١١٩ .

([lxxxiii]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٨٠/٢-٢٨١ .

([lxxxiv]) أبن بطوطة ، المصدر نفسه : ٢٧٥/٢ و ٢٨١ .

([lxxxv]) نفسه : ٢٨١/٢ .

([lxxxvi]) نفسه : ٢٧٦/٢ .

([lxxxvii]) نفسه : ٢٨٨/٢ .

([lxxxviii]) تحفة النظار : ٢٨٥/٢-٢٨٦ .

([lxxxix]) نفسه : ٢٨٤/٢ .

([xc]) نفسه : ٢٧٧/٢-٢٧٨ .

([xci]) العمري ، مسالك الإبصار ، ص٦٩ .

([xcii]) السعدي ، تاريخ السودان ، ص٥١ .

([xciii]) أبن بطوطة ، تحفة النظار :٢٨٢/٢ .

([xciv]) نفسه : ٢٨٥/٢-٢٨٦ . وقد علق الدكتور عبد الهادي التازي في تحقيقه على الرحلة حينما وردت الشخصيات التي التقى بها الرحالة بقوله : أن سعيد بن علي الجزولي شيخ المغاربة في مدينة تكدا ، وسكت عن التعريف بالحاج محمد الوجدي التازي ، فيما قال عن الفقيه المقرئ عبد الواحد أنه ينحدر من أسرة يشتغل عدد منها بالتجارة بين مالي وتلمسان وولاته منذ القرن ١٣/٥٧م . ينظر : رحلة ابن بطوطة ، تحقيق : عبد الهادي التازي : ٢٥٣/٤ . ولم أعثر على معلومات إضافية عن تلك الشخصيات التي ذكرها ابن بطوطة خلال تواجده في دولة مالي ببلاد السودان .

([xcv]) نفسه : ٢٨٨/٢ .
([xcvi]) أبو إسحاق الساحلي : وهو أديب ومهندس معماري من مدينة غرناطة الأندلسية خرج من بلاده أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إلى المغرب ، ثم جاب المشرق في طريقه لتأدية فريضة الحج ، وفي مكة المكرمة التقى بسلطان دولة مالي منسا موسى وعاد معه إلى بلاده ليبني هناك العديد من الصروح المعمارية وبقى هناك حتى توفي سنة ٧٤٧ه/١٣٤٦م . ينظر : شهاب الدين احمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، (بيروت:١٩٦٨) : ١٩٤/٢ .
([xcvii]) السلاوي ، الاستقصا : ١٥٢/٣ ؛ قداح ، أفريقيا الغربية ، ص١٦٠ .
([xcviii]) السعدي ، تاريخ السودان ، ص١٥ .
([xcix]) العمري ، مسالك الإبصار : ٤/ ص٦٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٨٧/٥ .
([c]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٨٧/٢ .
([ci]) القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٩٩/٥ .
([cii]) المصدر نفسه : ٢٨٣/٢ .
([ciii]) البكري ، المُغرب ، ص١٧٣ .
([civ]) أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور براً وبحراً ، (الرباط :١٩٦٧) ، ص٥٨١-٥٨٢ .
([cv]) عثمان بناني ، السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد (٢٦٩) ، ابريل : ١٩٨٨ ، الصفحات دون ترقيم والعدد منشور على الشبكة الدولية (الانترنت) .
([cvi]) بناني ، السودان الغربي ، العدد (٢٦٩) .
([cvii]) أبن بطوطة ، تحفة النظار : ٢٦٨/٢-٢٩٠ .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

١- أبن الأحمر : أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ، النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، تحقيق : عدنان محمد آل طعمة ، دار سعد الدين ، (دمشق:١٩٩٢) .
٢- الإدريسي : ابو عبد الله محمد بن ادريس الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مطبعة بريل (ليدن:١٩٦٨) .
٣- البخاري : ابو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق وتعليق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، (بيروت:١٩٨٧) .
٤- أبن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ، اعتنى به وراجعه : مصطفى الجويدي ، المكتبة العصرية ، (بيروت:٢٠٠٧) . وطبعة أكاديمية المملكة المغربية ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، (الرباط:١٤١٧ه) .
٥- البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، (الجزائر:١٨٥٧) .
٦- الحموي : ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت (بيروت:١٩٥٥)
٧- أبن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت:١٩٥٦) .
٨- الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، (بيروت: ١٤١٣ه/١٩٩٣م) .
٩- الزهري : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، (دمشق:١٩٦٨) .
١٠-السعدي : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران ، تاريخ السودان ، وقف على طبعه : هوداس ، (باريس:١٩٦٤) .

١١-أبن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافية ، تحقيق : إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (بيروت:١٩٧٠)
١٢-السلاوي : أبو العباس احمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء : ١٩٩٧) .
١٣-العمري : شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله ، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، دار الكُتب العلمية ، ط١ ، (بيروت:٢٠١٠)
١٤-أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط١ ، (القاهرة:د/ت) .
١٥-أبن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، (القاهرة:١٩٨٦) .
١٦-القلقشندي : أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب المصرية ، ط١ ، (بيروت : ١٩٨٧) .
١٧-ابن ماجة : ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، (بيروت:د/ت) .
١٨-الإمام مالك : بن أنس ، موطأ الإمام مالك بن أنس برواية ابن القاسم ، تحقيق : السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي ، منشورات المجمع الثقافي ، ط١ ، (أبو ظبي:٢٠٠٤)
١٩-المقري : شهاب الدين احمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،(بيروت:١٩٦٨) .
٢٠-المقريزي : تقي الدين احمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة المثنى ، (بغداد :د/ت) .
٢١-المناوي : محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر ، (بيروت ، دمشق : ١٤١٠هـ) .
٢٢-الوزان : الحسن بن محمد الفاسي ، وصف أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي و محمد الأخضر ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ط١ ، (الرباط:١٩٨٢) .
٢٣-اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب ، تاريخ اليعقوبي ، دار العراق ، (بيروت:١٩٥٥) .

ثانياً : المراجع :

١- الزركلي : خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، (بيروت :١٩٦٩) .
٢- الزياني : أبو القاسم ، الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور براً وبحراً ، (الرباط :١٩٦٧)
٣- الشكري : أحمد ، الإسلام والمجتمع السوداني – إمبراطورية مالي – ١٢٣٠/١٤٣٠م ، (أبو ظبي:١٩٩٩) .
٤- الصلابي : علي محمد محمد ، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين ، ط١ ، (القاهرة:٢٠٠٣) .
٥- طرخان : إبراهيم علي ، إمبراطورية البرنو الإسلامية،(القاهرة : ١٩٧٥) .
٦- طرخان : إبراهيم علي ، إمبراطورية غانة الإسلامية ، (القاهرة:١٩٧٠) .
٧- عبد الحكيم : منصور ، هارون الرشيد الخليفة الذي شوه تاريخه عمداً ، دار الكتاب العربي .
٨- الغربي : محمد ، بداية الحكم المغربي للسودان الغربي ، إشراف : نقولا زيادة ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر (الكويت:١٩٨٢) .
٩- قداح : نعيم ، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، مراجعة : عمر الحكيم ، (كوناكري:١٩٦٠) .
١٠-لوتورنو : روجيه ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : الدكتور نقولا زيادة ، مكتبة لبنان (بيروت:١٩٦٧) .
١١-النقيرة : محمد عبد الله ، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، (الرياض:١٩٨٢) .

١٢- هنتس : فالتر ، المكاييل والأوزان وما يعادلها بالنظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، (عمان : ١٩٧٠) .

ثالثاً : البحوث :

١- بناني : عثمان ، السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون ، بحث منشور في مجلة دعوة الحق ، العدد (٢٦٩) ، ابريل : ١٩٨٨ ، الصفحات دون ترقيم والعدد منشور على الشبكة الدولية (الانترنت)